

المحاضرة الثانية : علاقة الاندلس بدولة الفرنجة

1- مصطلح الفرنجة:

يذكر هذا المصطلح في المصادر والمراجع الخاصة في التاريخ الإسلامي بصيغة الإفرنجة والإفرنج أو الفرنجة وهو مصطلح ضيق المعنى وواسع المفهوم، بحيث يقصد في معناه كل من هو غير مسلم وعلى الدين المسيحي ولكن إذا فصلنا في مفهومه فهو يشمل كل المسيحيين باختلاف انتماءاتهم الاجتماعية والسياسية مما يجعله واسعاً في تحديد هوية الإفرنج المقصود بهم في بحث الباحث فالمصطلح ظهر في العصر الوسيط، أطلقه العرب على الأوربيين بعد الحروب الصليبية في المشرق.

ومن أهم القبائل التي لعبت دوراً في تحديد هذا المصطلح بنشاطها في أوروبا وخارج أوروبا في العصور الوسطى هي القبائل الجرمانية التي انقسمت بعد هجرتها من موطنها إلى قسمين: الفرنجة الشرقيون والفرنجة الغربيون

لكن لم يبق المصطلح مقتصرًا عليهم فقط، بل شمل كما سبق أن أشرنا في مصادر ومراجع التاريخ الإسلامي كل من هو على الديانة المسيحية بغض النظر عن أصوله القبلية إن كانت جرمانية أو نورماندية أو سلافية أو إسبانية، بحيث نجد العديد من مصادر الغرب الإسلامي، كابن صاحب الصلاة ولسان الدين الخطيب يذكر نصارى ممالك إسبانية الشمالية تحت مصطلح الإفرنج أو الفرنجة لذلك أشرنا أن مفهومه الاصطلاحي واسع جداً ومعناه اللغوي ضيق وتمتد الأراضي الفرنجية ما بين الحدود الجغرافية المعروفة في العصر الحالي فرنسا -إيطاليا -ألمانيا -

2 - العلاقات الأندلسية بدولة الفرنجة

ضيقة جداً وتتنحصر في علاقة الأحداث والوقائع التاريخية التي ربطت الأندلس بالفرنجة في عهد الامبراطور شارلمان.

يعد شارلمان أحد الملوك الفرنجيين الذين أنهوا حكم الأسرة المرونجية وأسس الأسرة الكارولنجية وأراد من خلال سياسته إحياء أمجاد الإمبراطورية الرومانية، وكانت علاقته قوية

بالمشرق خلال العهد العباسي، مما جعل علاقته بالأندلس ضيقة بعض الشيء وتتحصر في حدث واحد من خلال عدة وقائع.

3- الأمويون بالأندلس وعلاقتهم بشارلمان:

بعد استقرار الأوضاع بنسبة معتبرة وتسلق الحكم عبد الرحمان الداخل فكر هو ومن حوله بحماية الأراضي الإسلامية وصد هجمات الفرنجة، خاصة وأن مدينة أربونة قد تعرضت لهجوم فرنجي حيث تمكنوا منها وطردوا المسلمين وقد ساعد الفرنجة في دخولهم إلى هذه المدينة بقية القوط وجنودهم. وعلى رأسهم القائد القوطي الابسمونادس رغم مناعتها واستبسال أهلها، إلا أنهم تمكنوا من جزء كبير منها خاصة وأن المسلمين كانوا معزولين في هذه المدينة وصلتهم شبه منقطعة بمركز الأندلس، وحافظ على الحياة عدد قليل من المسلمين وماجعل جزء آخر من أربونة سليما من هجومات الفرنجة هو المجاعة التي حلت ببلاد الفرنجة وعطلت حركة الجيش .

عزم عبد الرحمان الداخل بعد استقراره في حكمه ووصلته الأخبار —على إرسال جيش لحماية أربونة من الفرنجة وسلم قيادة الجيش لسليمان الأموي لكنه لم يستطع الوصول إليها لأن القبائل في جبال البرانس هاجمت هذا الجيش وألحقت به هزيمة ساحقة فعاد قبل أن يصل إلى أربونة وكانت هذه آخر محاولة لعبد الرحمان الداخل لإنقاذ أربونة.

هزيمة جيش عبد الرحمان وامتناعه من إرسال حملة أخرى بسبب ما كان يعانيه من اضطرابات أدى بالفرنجة إلى معاودة شن الهجوم على أربونة ، وقد كان يقطن بداخلها بعض النصارى الذين كانوا يعيشون في سلم مع مسلمي المدينة هؤلاء النصارى تأمروا مع قادة الفرنجة ضد المسلمين واتفقوا سرًا على أن يفتحوا أبواب المدينة للقوات الفرنجية مقابل أن يمنحهم الفرنجة حريتهم في المدينة بعد الاستيلاء عليها وذلك طبقا لعرف قبائل القوط الذين حاربوا مع الفرنجة في الحملة الأولى، فالبنسبة لهم مقابل المشاركة في الحملة الأولى لبعض قادتهم يمنحهم القوط الحرية في المدينة .

4- تمرد سليمان الأعرابي ويحي الناصري على عبد الرحمان الداخل والتحالف مع شارلمان:

في سنة 149هـ/766م أرسل عبد الرحمان الداخل جيشه إلى الثغر الأعلى بالأندلس — سرقسطة — فوصل الجيش إلى المناطق الشمالية، وفرض الجزية على نصارى الشمال، وفي

طريق عودته إلى قرطبة أخذ معه في الأسر كل من يشك في طاعته وولائه وإخلاصه ممن كانوا على الثغور الأندلسية وكان من بينهم سليمان الأعرابي الذي فرضت عليه الإقامة بقرطبة فمكث فيها لبعض الوقت قبل أن يخرج منها .

تضاربت آراء المصادر في قصة خروجه منها، حيث ذكرت بعض المصادر أنه هرب منها، وذكرت أخرى بأنه استعطف عبد الرحمان الداخل وأبدى ولاءه فأطلق سراحه ولكن الأرجح الرأي الأول لأن المصادر التي تتكلم بالتفصيل على عبد الرحمان الداخل وعلاقته بخصومه لم تذكر شيئاً عن موقف عفوه عن سليمان الأعرابي.

بعد خروجه من قرطبة ووصوله إلى سرقسطة تواصل مع الفرنجة الذين كانوا مستقرين بأربونة التي سقطت في أيديهم في وقت سابق.

وتذكر بعض المصادر خلافاً لهذا الرأي، أي أنه لم يدخل لسرقسطة بل دخل مباشرة إلى أربونة وأعلن الولاء لملك الفرنجة وطلب حمايته .

في جميع الأحوال فإن سليمان الأعرابي بعد خروجه من قرطبة بدأ يتجمع أنصاره وهياً نفسه للتمرد والثورة ضد عبد الرحمان الداخل، وأعلن عن موقفه هذا في مدينتي برشلونة وجيرونة.

وثار معه الحسين بن يحيى الأنصاري –من أبناء سعد بن عبادة سيد الخزرج -، وقد جعله عبد الرحمان الداخل والياً على سرقسطة وقد اتحدا ضد عبد الرحمان الداخل واتفاقا على خلعهم من قرطبة والأندلس عامة واقتسام مناطق النفوذ بينهما.

بعد أن بلغ عبد الرحمان الداخل هذا الأمر أي خلع أمير سرقسطة الطاعة له واتحاده مع سليمان الأعرابي أرسل جيشاً للمرة الثانية بقيادة ثعلبة الجذامي 158هـ / 775م

التقت الجموع و دارت معركة لأيام تنقطع ثم تشتبك من جديد ولم يحسم النصر لأي طرف ، فطلب سليمان الأعرابي هدنة مؤقتة فاستجاب ثعلبة لذلك.

-في أثناء مرحلة الهدنة نقض سليمان الأعرابي –الهدنة – ورتب هجوماً على جيش المسلمين وهزمهم وأسر ثعلبة .

عاد بقية الجيش إلى قرطبة دون تحقيق أي هدف ، بعد انتصار سليمان الأعرابي وحليفه قويت شكوتهم والتحت بهم العديد من الثغور الأندلسية وأصبحت منطقة الثغرات خارجة بشكل مطلق على طاعة عبد الرحمان الداخل والذي لجأ إلى مفاوضات ومراسلات معهم حاول من خلالها استدراجهم إلى قرطبة إلا أنهما لم يثقاً فيه ، واستمرت فكرة القضاء عليه قيد الدراسة عندهم ، وفكراً في الاتصال بشارلمان وتدبير غزو قرطبة .

*ذكرت بعض المصادر أنهما اتصلا بالخليفة العباسي في المشرق ليكون واسطة اتصال بينهما وبين شرلمان لتدبير غزو قرطبة .

*وذكرت مصادر أخرى أن سليمان الأعرابي أخذ معه وفدا من أعيانه وذهب بنفسه إلى شرلمان فطلب منه المساعدة .

رغم اختلاف المصادر في طريقه الاتصال بشرلمان ودعوته للتحالف ضد عبد الرحمان الداخل إلا أنها تتفق أن هذه الدعوة لقيت ترحيبا من شرلمان وموافقة المطلقة في التحالف خاصة وأنه كان يطمح ليكون امبراطورية رومانية كالقديمة في عظمتها واتساعها .

تذكر بعض المصادر أنه من خلال دراسة طموح شارلمان وما صرح به لأتباعه ومقربيه أنه لم يكن ينوي تسليم سليمان الأعرابي أي جزء من أجزاء الأندلس بعد غزوها ، وهو ما يتضح من خلال ضخامة الحملة التي أعدها شرلمان لغزو الأندلس .

قسم شرلمان الجيش إلى قسمين كبيرين يقود احدهما الدوق براندر (الجهة الشرقية) والجيش الثاني بقيادة شرلمان (الجهة الغربية).

-القسم الأول: عبر جبال البرانس (من الناحية الشرقية) والتزام في سيره ساحل البحر متخذا طريق برشلونة .

القسم الثاني : الذي يقوده شرلمان عبر الناحية الغربية وهاجم بنبلونة واستولى عليها ثم استمر في سيره إلى سرقسطة التي كان متفقا أن يلتقي عندها بالقسم الثاني من الجيش ذلك بأن سرقسطة ستفتح له الأبواب على حسب اتفاقه مع الأعرابي إلا أن ظنه خاب لأن أهل سرقسطة امتنعوا عن فتح أبواب مدينتهم وتسليمها .

اختلفت المصادر حول هذه النقطة ،فذكرت بعض المصادر أن عبد الرحمان الداخل اتصل مع الحسين بن يحي الأنصاري واتفق معه على حماية المدينة على أن يجعله واليا عليها وعلى ضواحيها.

ومصادر أخرى ذكرت أن أهل المدينة ومعهم ابنا سليمان الأعرابي ، رفضوا تسليم مدينتهم وأعلنوا المقاومة وأجبروا الحسين بن يحي الأنصاري على ذلك.

ومصادر أخرى تذكر أن بعض المحيطين بالأنصاري ذكروه بمدى بشاعة عمله وهو سليل أسرة كريمة من الأنصار لها ماضيها الجيد في خدمة الإسلام ،وتذكر المصادر أنه أحس بتأنيب الضمير، وفكر لو أنه فتح المدينة لشارلمان فذلك سيؤدي بشرلمان إلى الاجتياز لبقية مدن الأندلس - وكأنه سيكون سببا في ضياع أراضي المسلمين بالأندلس –

وقد تكون تلك الأسباب كلها مجتمعة ،وهي التي أدت بالأنصاري الى اتخاذ موقف لحماية المدينة والتحصن بها وقد أحكم تحصينها أمام جيش شارلمان، والذي لم يجد حلا آخر سوى الحصار الذي نتج عنه مايلى :

5- نتائج الحصار

- 1- صمود أهل المدينة أمام الحصار الطويل .
 - 2- فشل مشاريع شارلمان التي خطط لها بالأندلس.
 - 3- طول الحصار أدى بقبائل الساكسون بأراضي شارلمان إلى الاتصال بالملك المنفي وإعلان الثورة ضد سلطة شارلمان.
- هذه النتائج كانت سببا في انسحاب شارلمان وأخذ سليمان الأعرابي أسيرا بعد أن كان حليفا واتهامه بالخداع والكذب في مسألة فتح أبواب المدينة .
- وفي الطريق عودته هاجم مدينة بنبلونة بكل عنف ورغم اتحاد المسلمين والبشكنس في المقاومة انتصر عليهم وهدم وأسوارها وحصونها ودخلها للمرة الثانية ،وتفرق أهلها في شعاب الجبال والمناطق الوعرة ، أما هو فقد غادرها متجها إلى جبال البرانس بجيشه المتكون من 5000 فارس من المشاة وقد كان خط سيرهم هو عبور ممر باب الشيزري وهو ممر ضيق ومستقيم وقد مر الجيش بسلام ولكن مؤخرة الجيش التي كانت تحمل المؤن والتجهيزات ومعها الأسرى ، هوجمت وأبيدت ، وتم القضاء على معظم الفرسان الذين كانوا يحرصون المؤن والأسرى ، كما كان تخليص الأسرى والعودة بهم إلى أراضي المسلمين.
- تختلف الروايات في تحديد هوية المهاجمين لمؤخرة الجيش الذين استولوا على المؤن والأسلحة وحرروا الأسرى .
- فيذكر ابن الأثير أنهم مسلمون وقاد الهجوم ابنا سليمان الأعرابي (مطروح وعيشون) وبعض الأتباع لإنقاذ أبيهما.
- أما الروايات النصرانية فتذكر أن الذين هاجموا مؤخرة الجيش هم البشكنس انتقاما من شارلمان وما فعله بهم في أراضيهم .
- ورواية أخرى في المصادر الأندلسية تذكر أنه مجموعة من المسلمين من سرقسطة وبلبلونة اجتمعوا واتفقوا على مهاجمة الجيش وتحرير الأسرى .

ويرجح في الأخير أنه كان هناك إتحاد ما بين المسلمين والبشكنس ومعهم أبناء سليمان لمهاجمة العدو وتخليص الأسرى ، فقد كان من بين الأسرى بعض المسلمين من أهل سرقسطة ومن أهل بنبلونة وعناصر من البشكنس إضافة إلى سليمان الأعرابي .

كانت هذه الضربة القاضية لمؤخرة الجيش صدمة شديدة لشارلمان ، ولم يقدّم بأي عمل ليرد عليها ، ولم يطارّد تلك المجموعات ويرجع السبب في ذلك أن أولى اهتمامه ما يحدث في بلاده – ثورة السكسون عليه .

ولم يبق من الأسرى بيد شارلمان سوى ثعلبة ، والذي فتح عبد الرحمان الداخل من أجله مفاوضات انتهت بتسليمه إلى عبد الرحمان الداخل .

أمّا سليمان الأعرابي فقد عاد مع ابنه إلى سرقسطة واتفق مع الأنصاري على الخروج على طاعة عبد الرحمان الداخل وجمع أعوانهما وسيطرا على سرقسطة وبرشلونة وعاد إلى سليمان أتباعه ، مما أقلق عبد الرحمان الداخل وتفرغ لهما حسب ما ذكره ابن الأثير أنه كان يريد التوجه إلى الشام لتخليصها من العباسيين ، لكن أمر سليمان الأعرابي والأنصاري بسرقسطة غيرا وجهته وصار يفكر في إفشال هذا التحالف ، واتصل بالأنصاري وأبدى له رغبته في تسليمه سرقسطة بشكل انفرادي .

وتنفيذا لهذه الرغبة دبر الأنصاري مؤامرة للتخلص من سليمان الأعرابي وهياً له من يغتاله بالمسجد الجامع أثناء صلاة الجمعة ، وسلمه عبد الرحمان الداخل سرقسطة ثم بدأ يفكر في كيفية التخلص منه .

جمع عبد الرحمان جيوشه ، وقسمها إلى أقسام وصار هو على رأس الجيش إلى سرقسطة وجعل أبناءه على اليمين والمسيرة واجتمعوا في سرقسطة لتأديب الثائرين فحاصروها وشددوا الحصار ونصبوا عليها المنجيق ، ودخل عبدالرحمان الداخل المدينة عنوة وقتل الأنصاري وجماعته ، وعين علي بن حمزة واليا لسرقسطة وأعطاه الصلاحيات لإدارة شأنها .

* سليمان الأعرابي

هو سليمان بن يقضان الأعرابي الكلبي وسماه ابن القوطية مطرف بن الأعرابي أما عن سبب تسميته بالأعرابي فإن المصادر لم تعط إشارة لذلك ما عدا ابن الحزم ، لم يذكر أنه من أعراب بني كلب – وذلك حين تناول أصول بني كلب وبني وبره وبطونهم وانطلاقاً من هذا فيرجح أن سليمان بن يقضان يرجع أصوله إلى بني كلب ولهذا أطلق عليه سليمان الأعرابي الكلبي من القبائل اليمنية حسب الحموي (معجم البلدان) الذين استقروا في

مدن أندلسية متعددة ولهم ماضي في إشبيلية لدرجة أن أحد الأودية لهذه المنطقة يسمى بوادي الكلبى .

واشتهر أفراد هذه الفصيلة بالأندلس ومنهم عبد الرحمان بن نعيم الكلبى فى عصر الوالى على الأندلس أبى الخطاب بن ضرار الكلبى ، ومنهم القائد مهلب الكلبى أحد أبرز قادة مدنية اشبيلية فى عهد عبد الرحمان الداخل .

من خلال المصادر يتضح أن سليمان الأعرابى من أبرز الشخصيات اليمنية البارزة فى أحداث الثغر الأعلى من الأندلس.